وانما خصها لان العقول لا تدركها النسيانها ولعموم الحجة بها ذكرنا ويكون ذلك من
عموم المجاز وفيه تغليب ايضا لان ادم ليس من بني ادم وبيان ذلك ان الله سبحانه
فطر العقول قابلة للحق منكرة للباطل فطرة الله التي فطر الناس عليها كل مولود يولد
على الفطرة الحديث اي خلقت عبادي كلهم حنفا الحديث وذلك يعني هي الحسن والقبح
الذي انكره من تغيرت فطرته او كابرها ثم اخذ الله ذلك العهد المشار اليه في الحديث
ثم نصب الادلة تعرض نفسها في كل اوان واقام منادي المنبهات من معقول ومنقول
ثم توارث الاباء والابناء مع كثرة الانبيا المؤكدين للاقرار بالله وتطابقت الالسن
على الاقرار به من كل متشكك ومعاند ولذا قالت الرسل افي الله شك ولئن سالتهم من
خلقهم ومن خلق السموات والارض من فعل من فعل ليقولن الله واذا مسكم الضر في
البحر ضل من تدعون الا اياه وسائر الضرائر كذلك فمجموع ذلك صادق على اخذ العهد
ولقد قال الجاحظ وجماعة ان معرفة الله ضرورية يعني في الجملة غاية الامر انه اسلم
له من في السموات والارض طوعا وكرها بمعنى ان منهم المنقاد للبرهان ومنهم الابي
بعد ظهور شمس الحق وفي الحديث الصحيح انه تعالى للمشرك لو كان لك ملء الارض ذهبا
اكنت مفتديا به فيقول نعم يا رب فيقول له قد سالتك ايسر من ذلك وانت في
صلب ابيك ادم الا تشرك بي شيئا فابيت ويحتمل انه اراد فاسئت بعدي دار
الدنيا ويحتمل حين سالتك فيحتاج الى تاويل قوله قالوا بلى نحو قاله بعضهم بلسان
مقاله وبعضهم بلسان حاله لوضوح الامر الا ترى انك اذا اسرت الى ما لا يستطيع
مخالفتك ان ينكره وقلت له هلا اما هذه الشمس اما هذا ابوك لم يحتج الى الاقرار
بلسان المقال لان الانكار لا يقبل مع الوضوح التام فلا يعتبره عاقل ويحتاج
الى هذا التاويل الزمخشري واصحابه لان الكفار جميعهم لم يقولوا بلى في دار التكليف
نعم ان الله سبحانه عاملهم بما علم من اختيارهم وقت تكليفهم فشرح صدر بعضهم
للحق وجعل صدر بعضهم ضيقا حرجا فيسر كلا لما خلق له اي لما هو قائل امره

باختياره

باختياره فكان لسان حال المسلم والكافر مقرا بالربوبية تحت سيف البرهان كذلك الستهم
المصدقة لا بطوع المخالفة الا مكرهة وتكلفا برغام المكابرة فان فرضت لعارض ضرورة
رجعت الى ما يعلم من نفسه ما يعلم وانما هو كما قال تعالى فيه وفي قومه وجحدوا بها و
استيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقال له موسى عليه الصلوة والسلام لقد علمت
ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها
هي مثل قوله تعالى فلو شاء لهداكم اجمعين اي في قدرته وحكمته ما يسع الارض الهداية
وتركها وبعبارة شان ان يجازيه كان ولكنا واخذناه بعمله حين اخلد الى
الارض واتبع هواه وهذه طريقتنا في ايات المشيئة كلها كما بيناه في العلم
الشامخ فان قلت كيف التشبيه في هذه وفي قوله تعالى كمثل الحمار يحمل
اسفارا قلت التشبيه مفرد بمفرد الا انه مقيد بالصفة المذكورة وهو مصب
التشبيه القيد ولكنه ذكر المقيد للتخسيس الا تراه لو قال كمثل الحمل يحمل اسفارا
لم يكن بتلك المثابة مع ان مقصود التشبيه حاصل وهذه سنة جارية في تشبيهات
البلغا ونداكر الاعتبار والطريقة يمدحون الشي الواحد ويذمونه ويحسنون القبيح
ويقبحون الحسن مثل ما فوته سيالة ومره مقيئة للخمر والعسل فلو قالوا مثلا
ذم محمدم وسكر ذائب لا نعكس الامر بان صار المدح ذما والذم مدحا
قوله تعالى من يهدي الله فهو المهتدي لا يهتدي سواه ومن يعرضه للضلالة
فهو الحقيق بالخسران ثم اخبر سبحانه ان الذين لا يستعملون العقل والسمع والبصر
فيما اريد منهم من سلوك طريق الهدى وتجنب الردا انما هو ذرء وهم لجهنم
مع قيام الحجة عليهم بالتمكين ثم اخبر ان بعض المكلفين وهم العقلاء العامل لذلك
الكثير اسقطوا العقل والسمع والبصر ثم فسر كيفية اضلاله من كذب بآياته
بالاستدراج والاملاء فالآيات من ذكر اخذ العاق الى هنا كما ترى من اللازم
وقد احسن صاحب الكشاف تعبير الاستدراج بفعل ما يضلون عنده من تواتر

النعم عليهم

الى الجبلة من الاقرار الا ترى فرعون حين قال انا ربكم الاعلى اتراه مكابرا ام معتقدا وهو م

Copyright © King Saud University